عندما يتوقف النبع تجف السواقي

بقلم المطران حبيب هرمز

البصرة

شباط 2020

مقدمة

كان حدث تحويل كاتدرائية **آياصوفيا** الى مسجد دافعا لطرح مجموعة من التساؤلات حول الهدف من الدين ورموزه وكيف يستغل من اصحاب الشأن. حيث ان ما حصل في اسطنبول لن يكون الأخير. وكي نعي المسألة من الضروري ان نعلم انها فكرة طبقها العديد من السياسيين ورجال الدين من مختلف الديانات وعبر التاريخ. وكما قال مرة المرحوم الأب يوسف حبي وهو يتحدث لنا عن اصل جامع **النبي يونس:** انها علامة انتصار اتباع الدين الحديث على من سبقه. انه فهم خطير لطبيعة العلاقات البشرية التي تتسم برفض الآخر. سيتم سرد نماذج عبر التاريخ وملاحظة كيف ان الفرس والمسلمين والمسيحيين من مختلف الحضارات وعبر 2000 سنة هدموا دور عبادة وبنوا دورا جديدة في نفس المحل او غيروا البناء الديني وفق توجههم الجديد. تم الإعتماد على العديد من المصادر المدرجة في اسفل كل صفحة.

امثلة عبر التاريخ

عندما شفى **مار ماري** اخت ارطبان ملك الفرس في ساليق طيسفون في القرن الأول الميلادي، وكان اسمها قني، وتكريما له بعد ان عمذها، اهدت معبدا للنار كانت قد بنته، فحوله الى كنيسة ودير وسمي باسمها **(قني** او قاني) وهو قرب قضاء العزيزية في محافظة واسط.[1]

كان جامع النبي يونس اصلا ديرا بنى فوق انقاض معبد وثني. ولكونه بجانب سور نينوى اختاروا له اسم يونان في القرن السادس الميلادي رمزا للتوبة حيث صار مقر بطريركنا مار حنانيشوع الأعرج. وبعد 300 سنة قام الخليفة العباسي المعتضد بالله 892–901م ببناء مسجد الى جانب الدير. وتحول الدير الى جامع في نهاية القرن العاشر (حوالي 1000م) حيث قامت الأميرة جميلة ابنة ناصر الدولة الحمداني بضم الدير الى الجامع وبناء دور حوله وسمي مسجد التوبة. لقد سمح المسلمون للرهبان ان يسكنوا بجانب الجامع الى سنة 1200. وقد زاره تيمورلنك الأعرج (1336–1405) وطلب من اهل الموصل صيانة واحترام قدسية الدير بعد ان قالوا

[1] **بن سليمان، ماري، اخبار فطاركة كرسي المشرق، رومية 1899، ج2، ص4.**

له ان جسد البطريرك الطاهر والقديس لم يكن منحلا ويشع نورا في الليل وهو مصدر شفاءات لمرضى الموصل.[2] وفي نفس الفترة كان هناك ملوك فرس مرة يدمرون الكنائس ومرة يبنون كنائس وربما يكفي ذكر ما فعله ملك واحد. انه كسرى الثاني 590–628 الذي بنى ثلاثة كنائس تكريما لزوجتيه المسيحيتين، وهو نفسه في سنة 628 امر بتدمير كنائس المملكة وقتل المسيحيين لأنه خسر في معركته امام هرقل ملك الروم.[3]

الخليفة هارون الرشيد(786–809) كان صديق بطريركنا طيماثاوس. ومرة بسبب وشاية مسلم أمر بحرق كنائس البصرة الخمسة. ولكن بتدخل البطريرك اعتذر لسوء الفهم وقامت زوجته زبيدة بالإشراف على اعادة بناء الكنائس واهدت صليب وغصن زيتون ذهب لكل كنيسة.[4]

جامع النوري (صاحب المنارة الحدباء) والذي بني سنة 1172، بني فوق اربع كنائس او كنيستين حسب المصادر منها كنيسة مار بولس وكنيسة الأربعين شهيدا تشفيا من الحاكم نور الدين، القادم من سورية، بانتصاره على مدينة الرها واخذها من الروم البيزنطيين (حسب نص للقديس غريغوريوس ابن العبري ق13).[5]

بنت الملكة ميلسندة في الأراضي المقدسة وقرب اورشليم ديراً للراهبات البندكتيات هناك سنة 1138م، وبنت كنيسة جديدة فوق قبر لعازر. الكنيسة حولت الى جامع في القرن السادس عشر (يسمى جامع العزير). ولكن تم بناء كنيسة كاثوليكية سنة 1952 بجانب الجامع.[6]

عندما يصل حجاج اورشليم القديمة في رياضة درب الصليب الى المرحلة الرابعة يدخلون بوابة هيرودس. كانت هناك الكنيسة الأصلية المبنية على المحل الذي تم فيه الحكم على يسوع والتي بنيت خلال الحكم البيزنطي. وقد تحولت الكنيسة الى جامع ولا يعرف متى ولكن تم تحويل الجامع الى كنيسة في القرن 13 ثم هدمت. وفي سنة 1904 تم بناء كابيلا (كنيسة صغيرة) كاثوليكية. [7]

---

[2]كتاب فهرست المؤلفين لعبديشوع الصوباوي، كتاب ديارات العراق لألبير ابونا ، اخبار بطاركة المشرق لماري بن سليمان وعمرو بن متى، كتاب تاريخ الموصل لسليمان الصائغ، المرشد الى مواطن الآثار والحضارة لطه باقر وفؤاد سفر، خلاصة تاريخية للكنيسة الكلدانية للكردينال اوجين تسران

[3]بابو اسحق : تاريخ نصارى العراق، بغداد، مط المنصور، 1948، ص18.

[4]ابونا، تاريخ الكنيسة السريانية، ج 2، ص 125،141؛ فييه، جان (الأب): الآثار المسيحية في الموصل، ت نجيب قاقو، بغداد، 2000، ص 28.

[5]راجع مادة جامع النوري في موسوعة وكيبيديا.

[6]النوفلي، حبيب هرمز (الأب): فسحة في الأبدية، لندن، 2012.

[7]المصدر السابق.

غرفة **العشاء الأخير** ليسوع المسيح مع تلاميذه في جبل صهيون كان مجمعا يهوديا دمر سنة 70م وبني بعد الحرب فسميت كنيسة الرسل، ثم كنيسة يودوسيان في سنة 382م وقد دمر الفرس الكنيسة سنة 614م. وقد اعيد بناؤها مباشرة. ولكن تم تدميرها من قبل المسلمين سنة 1009 (الخليفة الحكيم). وبعدها اعيد بناؤها بإسم القديسة مريم. دمرت الكنيسة مرة اخرى سنة 1219م واعيد بناؤها سنة 1340م حتى سنة 1552م حيث استملكها العثمانيون وحولوها الى جامع مع تحويل اتجاه الصلاة نحو مكة. وقد تم منع المسيحيين من الصلاة فيها حتى سنة 1948. [8]

بنى المسلمون في اسبانيا مسجد قرطبة سنة 784 فوق انقاض كاتدرائية وذلك عند احتلالهم اسبانيا، وبعد سقوط الحكم العربي تم تحويله الى كاتدرائية سنة 1236. علما ان الكاتدرائية نفسها كانت قد بنيت فوق انقاض معبد وثني.[9]

بني مسجد (قوة الإسلام) في نيودلهي عاصمة الهند وجامع قطب الاسلام من تفليش كنيسة و27 معبد هندوسي وذلك بامر من حاكم تركي الأصل في القرن الثاني عشر.[10]حدثني احد ابناء البصرة انه زار المدينة لغرض التجارة وكيف حكى له القصة الدليل السياحي.

كما تم تحويل العديد من الكنائس والمعابد اليهودية الى مساجد في العراق وكمثال بسيط في عصر السلاجقة (ق11-12).[11]

اخيرا شمال البصرة بـ 60 كلم لا زالت تشاهد آثار دير الدهدار المبني في القرن السادس الميلادي على ضفة شط العرب الغربية وقد تحول الى حسينية صاحب الزمان.[12]

واليوم كما يعلم الجميع تباع مئات الكنائس في اوروبا لتحول الى جوامع طمعاً بالفلوس وللتخلص من كلف صيانتها بعد فراغها من مؤمنيها الذين اعتنقوا العلمانية. لقد خدم كاتب المقال في بريطانيا لعشر سنوات وطالب، مع عشرات الرعاة الأجانب، رئاسة لندن الأسقفية مساعدتها في الحصول على كنيسة فكانوا يقولون دائما: كم لديكم من الفلوس!

---

[8]المصدر السابق.

[9] https://ar.wikipedia.org/wiki/جامع قرطبة

[10]نقلا عن صديق مثقف مسلم من البصرة زار المدينة وكان مترجمه الهندي المسلم يفتخر بتفليش الكنيسة. كما تم التأكد من موضوع التفليش من المواقع الألكترونية التي ذكرت المعابد الهندوسية ولم تذكر الكنيسة.

[11]حسين، يحيى: اهل الذمة في العراق في العصر السلجوقي، اطروحة دكتوراه، الأردن، 2000، صفحات عديدة.

[12]الحموي، ياقوت، معجم البلدان، ج2، ص509.

لماذا تحول هوية اماكن العبادة؟

هناك اسباب عديدة منها معاناة السياسي او الداعية الديني المستند على قوة ما من عقدة النقص، او علامة انتصاره على اعدائه ان كانوا من غير دين، او لأسباب اقتصادية او سياحية؛ بعضهم يستغل سذاجة وجهل الناس بموضوع حساس وهي المشاعر الدينية كي يدخل التاريخ؛ واحيانا يعتبر احتلال مركز ديني وتحويله وسيلة للإنتقام بعد فشل طرق أخرى للتشفي من العدو.

اهتمام العالم

المباني القديمة هي تراثية، وهي ركيزة تقدم البلد في عدة مجالات. وعندما يتم تغيير هويتها فهذا يعني البناء على اسس من الكذب والخداع والوهم. انها ابداع بشري يجب ان ينال قدرا من الإحترام. لذلك اسست هيئة الأمم المتحدة منظمات كاليونسكو واحدثت هيئات لحمايتها مثل ICOMOS والمجلس الدولي للمتاحف ICOM والمركز الدولي لحماية الممتلكات الثقافية CCROM . هذا عدا التفاقية لاهاي سنة 1954 من اجل حماية الممتلكات الثقافية وتعقد باستمرار مؤتمرات حول الآثار.

الختام

هناك حاجة اذن الى قراءة احداث التاريخ وتوعية الجيل الجديد كي يقبل الإختلافات. فمن هؤلاء شباب كل جيل سيولد سياسيو المستقبل. ومن الضروري الكشف عن الجوانب الإبداعية عبر التاريخ لأبناء كل جيل. كم هو محزن ان احد الأشخاص في وسائل التواصل الإجتماعي كتب تعليقا لخبر تحويل الآياصوفيا الى مسجد وقال: ماذا تقصدون بالآياصوفيا، لا اعرف ماذا كانت هذه البناية!!!

على الرغم من تقييدات وباء كورونا فلا حل الا بالتربية والتعليم، والتعليم العالي، وفتح مراكز البحوث المختلفة، وانشاء المكتبات، ومجانية المعرفة، وتشجيع الباحثين والمبدعين. هنا للإعلام دور كبير في كشف الحقائق التاريخية والدعاية للآثار المنسية فمثلا لدينا عشرات الأديرة في الحيرة والكوفة معرضة للزوال. وهذا يلتقي مع رغبة الناس في سعيهم للحقيقة لا للقوة السياسية او الدينية المتغطرسة؛ ان يكون هناك حيز في التعليم للقيم الأدبية والخلاقية. الحل هو بتوحيد صفوف المثقفين من مختلف الديانات والثقافات كي يلتقوا ليبحثوا في نقاط الإتفاق ويبذروا بذور حضارة المحبة؛ في تثقيف الناس ثقافة انسانية متسامية منفتحة وشفافة؛ الحل هو في جيل يؤمن بالآخر وبأن الحياة مثل قوس قزح لا اسود وابيض؛ جيل يحترم خصوصية كل دين ويحافظ على حرمة معتنقيه وضمان حقهم في الإحتفال بما يؤمنون به او يعتقدونه؛ جيل يحرم اقصاء الآخر ويرفض الخطب الدينية والسياسية الباعثة للكراهية والطائفية

والبعيدة عن روح المواطنة. التراث هو عمل انساني جماعي لعباقرة ومبدعين، اذا كان التراث اشبه بالبحر فليس من حق البحر اليوم ان ينسى فضل الروافد والأنهر.